مع حراس اللغة

زاهر بن حارث المحروقي

> «فكرة وجود مصحِّح لغويّ في الإذاعة لم تخطر على بال المسؤولين إلا في نهاية حقبة السبعينيات وبداية الثمانينيات»

هم حراس اللغة، الساهرون على نطقنا السليم نحن المذيعين. عندما أستعيد الآن بعد أربعين سنة من العمل الإعلامي، علاقتي بهؤلاء المصحِّحين اللغويين أجد أنني كنتُ أعيش تنوعاً غنياً أثرى شخصيتي، وهذّب لغتي، وفي أحيان قليلة درَّبني على الحلم والصبر. كانوا متنوعي الجنسيات، متبايني الطباع، مختلفي الميول والأفكار والتوجهات، عُمانيين كانوا ومصريين وأردنيين وسودانيين. لكلٍ منهم حكاية تستحق أن تُروى لدرجة أنني أحتار الآن هل أبدأ بحكاية صاحب «مجزرة المذيعين»، أم بحكاية المصحِّح الذي يحب الحلوى، أم ذاك الذي يوقظ أهله في مصر صباح كلّ يوم لصلاة الفجر، رغم أنه في مسقط، أم ذلك الذي يملك عمارة شاهقة لكنه لا يستطيع التصرف في شققها. على أية حال أظن أنه من الأفضل أن أبدأ الحكاية من بدايتها، أي من المصحِّح اللغويّ الأسبق زمنيّاً.

يبدو أنّ الإذاعة تأخرّت كثيراً في الاستعانة بمصحِّحين لغويِّين. فعلى الرغم من الإنتاج البرامجي والدرامي الكثير في بدايات الإرسال الإذاعي، إلا أنّ فكرة وجود مصحِّح لغويّ في الإذاعة لم تخطر على بال المسؤولين إلا في نهاية حقبة السبعينيات وبداية الثمانينيات. وكانت البداية مع الراحل محمد الصليبي (الأردني حينها، قبل أن يُمنَح الجنسية العُمانية في سنوات حياته الأخيرة) الذي عمل مصححاً لفترة قصيرة في دائرة الأخبار، قبل أن يترك المهمة لاثنين من المدرسيِّن المصريِّين هما صلاح محمد وسيد عبد القادر، اللذان استمرا في العمل كمصحِّحيْن للأخبار لفترة من الوقت، لينتقل الصليبي مصحِّحاً في جريدة عُمان، وليتفرغ فيما بعد لتقييم المذيعين ورصد أخطائهم، حيث كانت تَرِدُ للمذيعين أوراقٌ مسجلٌ عليها خطأ المذيع وموعد النشرة؛ وهو الأسلوب الذي امتعض منه معظم المذيعين، إذ كيف يتم تصحيح الأخطاء بأثر رجعي؟، فلم يعر المذيعون ذلك الأمر أيّ اهتمام، بل إنّ كثيرين منهم رأوا أنهم على صواب بينما كان المصححُ على خطأ. وعلى أية حال فقد واصل محمد الصليبي عمله الإعلامي بأن كُلِّف بتقييم المذيعين، وبعمل دورات تدريبية في اللغة العربية وورشِ عمل، أكثر من مرة.

في الفترة القصيرة التي عمل فيها الصليبي مصححاً في الأخبار، تعاملتُ معه بتوجّس، إذ إنّ معرفتي به تعود إلى بدايات وصوله السلطنة حيث عمل مدرِّسا في مدرسة الوليد بن عبد الملك في روي (التي كنتُ طالباً فيها) قبل أن ينتقل إلى مدرسة جابر بن زيد الثانوية في الوطية. وسببُ التوجّس والوجل منه يعود إلى أنني من ذلك الجيل الذي كان يقدِّس المعلِّم ويوفيه حقه من الاحترام والتبجيل، ثم إني كنت خلال تلك الفترة في بداياتي الأولى في العمل الإذاعي، ولذا فمن المؤكد أنني كنتُ –وما زلت – أحتاج إلى من يراجع ويصحِّح لي؛ وقد استمرت علاقتي بالصليبي حتى آخر دورة تدريبية أقامها لنا في استوديوهات الإذاعة العُمانية حوالي عام 2000، وهي الدورة التي تمّ على إثرها تقييم من يبقى مذيعاً ومن يترك المهمة، فيما عُرف عند بعض الزملاء بـ «مذبحة المذيعين». وقد شارك في هذه الدورة المذيعون المخضرمون والجدد، منهم منى بنت محفوظ المنذرية، وعبد العزيز السعدون، وكلثم بنت محمد، ومحمد بن مرهون الحسني وغيرهم.

تسلم عمل التصحيح «كما أشرتُ سابقاً» صلاح محمد وسيد عبد القادر، وكانا رجلين هادئين لا يتدخلان فيما لا يعنيهما، وكان صلاح أقرب لأن يكون «في حاله» كما نقول في الدارجة، أما سيد عبد القادر فقد بنى جسراً من العلاقات الطيبة مع الزملاء لأنه كان من النوع البسيط الذي يتكلم بهدوء ويأسر محدِّثه. وقد أخبرني زميلي الدكتور محمد بن ناصر المنذري، أنّ سيد عبد القادر كان مستمراً في التواصل معه ويزوره في بيته في القاهرة أثناء تحضيره لرسالتَيّ الماجستير والدكتوراه؛ وقد حضر إلى القاهرة من المنصورة خصيصاً ليشهد مناقشة محمد للدكتوراة، إلا أنّ سيد اختفى فجأة، فلم يعرف محمد أين ذهب ولماذا اختفى؟؛ حيث اتصل به كثيراً ولكنه لم يجب.

كنتُ أفكر في غياب سيد المفاجئ هذا وأنا أستعيد بيني وبيني نفسي أحاديثنا الكثيرة معه، وملاحظتي الدائمة أنّ هناك لمسة حزن واضحة في وجهه، وأنه مهموم بأمر مّا، وعندما طرحتُ له ذلك، قال لي إنه عاش قصة حب فشل فيها، ورحلت محبوبته إلى خارج مصر، وهو لم يتزوج بعدها، ولم يزد أكثر عن ذلك، وبدوري لم أحب أن أنكأ جروحه بمحاولة معرفة القصة. في عام 1989، تقابل نادي فنجاء الذي أشجِّعه مع نادي مرباط في نهائي كأس جلالة السلطان المعظم لكرة القدم، وكان نادي مرباط حينها في الدرجة الثانية فيما كان فنجاء منتشياً بفوزه ببطولة مجلس التعاون الخليجي للأندية الأبطال، وقد صمد نادي مرباط لدرجة أن لعب الفريقان شوطين إضافيين قبل أن يحتكما إلى ضربات الترجيح التي ابتسمت لفنجاء، فكان سيد عبد القادر متحمساً جداً لمرباط، وقال لي: «أنا آسف كنتُ أتمنَّى فوز مرباط لأنهم يستاهلوا ولأول مرة يصلوا النهائي»، قلت له: «هل هذا هو السبب فقط أم لأنّ مدرب مرباط مصري وكذلك المحترفون؟»، فأجاب: هذا أيضاً سببٌ آخر.

بعد فترة المصحِّحَيْن صلاح وسيد اللذين كانا متعاونَيْن مع الإذاعة، تعيّن رسميّاً عبد الحميد بن عبد المجيد الأنصاري كأوّل مصحح لغوي في الإذاعة بعد أن تقاعد من مدرسة قوات السلطان المسلحة حيث كان مدرِّساً للغة العربية، وهو الوحيد الذي شغل هذه الوظيفة حتى الآن لأنّ كلَّ المصحِّحين - قبله ثم بعده- إنما كانوا يعملون بـ «القطعة» أي بالأجر اليومي. وهذا ما حصل أيضاً مع المصحِّحين العمانيين وهم: عبد الباسط المعيني، الذي عمل مصحِّحاً أيضاً في التلفزيون، وعبد الله بن مبارك العبري، الذي حصل على الدكتوراه وأصبح أكاديميّاً فيما بعد، وصدر له أكثر من كتاب منها «قواعد الضمان وتطبيقاته الاقتصادية والمصرفية» وكتاب «الإمام الخليلي وفقهه من خلال كتاب الجوابات»، وكتاب «انحراف الفكر». وكذلك خميس بن حبيب التوبي، الصحفي بجريدة الوطن والذي يكتب مقالين في الأسبوع في الشؤون السياسية والعامة، وكذلك مبارك الشعبني الذي أصبح مسؤولاً في وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، بعد أن نال الدكتوراه في ماليزيا، وله كتاب «القرآن قرآن»، وهو الكتاب الذي دار حوله الكثير من النقاش بين متهم الشعبني بأنه من «القرآنيين» المنكرين للسُّنّة النبوية الشريفة، وبين المؤيدين له الذين رأوا أنّ عدم الاستشهاد بالسُّنّة النبوية لا يعني إنكارها، وأنّ تعريف السنة النبوية هو تعريف بشريّ ولم يعرِّفها لنا الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

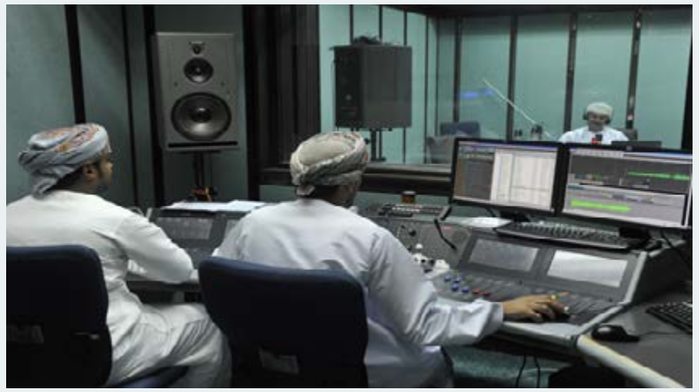

ولن تنسى الذاكرة، المصحح الأستاذ محمد كشك، الرجل البدين، صاحب القلب النظيف، الذي تعامل مع الكلّ من مبدأ الأبوة، وكان يقول كلّ ما في قلبه ببساطة ولا يغضب أبداً.

ورغم مشاكسات سليمان المعمري له إلا أنّ الأستاذ كشك كان يردِّد لي «ده سليمان هذا ابني» وكان سليمان يحبه أيضاً. ولأنّ ما في قلب كشك يخرج مباشرة على لسانه فقد كان لا يتحفظ أمامي عن الإدلاء برأيه في أيٍّ من الزملاء حتى دون أن أسأله، مثلاً في إحدى المرات بمجرد أن سمع باسم أحد زملائنا قال: «ده أفّاق». كان كشك مصاباً بالسكري ورغم ذلك فلم يكن مبالياً بصحته، إذ يسرف في تناول الحلوى، وكثيراً ما نصحه بعض الزملاء بأن يقلل من تناول الحلوى والعيش «أي الأرز» إلا أنّه كان يضرب بهذه النصائح عُرض الحائط، وكانت وفاته أثناء إجراء عملية جراحية له في مصر، وقد عرف عن ذلك سليمان المعمري عندما اتصل بالرجل ليسلم عليه، فإذا أرملته تخبره بقصة وفاته. كان كشك على علاقة جيدة بأبي رحمهما الله، إذ كان يذهب إليه كلّ جمعة في دكانه في روي ليُلبسه المصرّ، إذا كان سيخطب الجمعة في بعض المساجد، إذ كانوا يستعينون به إذا كان الإمام في إجازة. وقد ترك محمد كشك رواية تاريخية صغيرة صادرة عن مكتبة الضامري عن أهل النهروان.

ومن المصحِّحين الذي مروا بإذاعة سلطنة عُمان أيضاً السوداني عبد الرحيم النعيمة.. الرجل الطيب الذي يحرص على أداء صلاة المغرب جماعة في مسجد الهيئة، ذلك أنّ دوامه كان مسائياً دوماً. وهو مبتسم وبشوش وحسن المعشر، وكثيراً ما كان يضحك من النكات التي يطلقها زميلنا المحرر عبد الله السعيدي التي تنتقد العرب ودورهم السياسي. أما بلده السودان فقد كان يحمله بين جنبيه أينما ذهب، وكثيراً ما كان يحلل ويناقش معي ومع الزملاء في دائرة الأخبار الأوضاع في السودان، وكان يدافع عن الرئيس البشير والحكومة السودانية بشدة. وقد جاء النعيمة مصححاً للأخبار بديلاً للمصحح المصري محروس محمد الذي رغم قصر فترة عمله إلا أنّ كثيراً من الزملاء ما زالوا يذكرونه إلى اليوم، لا سيما زميلنا المذيع حسن سالم الذي ارتبط معه بعلاقة صداقة وثيقة.

وقد ربطتني بكلّ هؤلاء المصححين علاقةٌ جيدةٌ بحكم التعامل اليومي معهم أجمعين، ولكن يبقى أنّ أكثر اثنين ارتبطتُ بهما هما الشيخ عبد المعطي منذر عبد المعطي ومحمد بيومي خليفة. ولذا فإنهما يستحقان وقفة في مقال مستقل.